جامعة بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الأستاذة:جوادي هنية

المستوى: ثانية دراسات نقدية

المحاضرة السابعة: المقامة الحلوانية

1- من هو الحريري؟

هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (446 – هـ 1052م) ولد بضاحية من ضواحي البصرة تسمى المشان، ولما شب ذهب إلى البصرة حيث سمع الحديث، وقرأ الأدب واللغة، على أيدي علماء منهم علي بن فضال المجاشعي، وإسحاق الشيرازي، وسرعان ما أصبح صاحب الخبر في ديوان الخلافة، لفطنته وذكائه

أنشأ الحريري خمسين مقامة وفق العدد الذي أنشأه الهمذاني، وبناها على الكدية كما فعل بديع الزمان، وقد تسابق العلماء على قراءتها، وظل الحريري موضع تقدير أهل العلم حتى مماته سنة 516هـ الموافق لـ1122 م

1- المقامة الحلوانية

"حكى الحارث بن همام قال: كلفت مذ ميطت عني التمائم. ونيطت بي العمائم. بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب. لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام. ومزنة عند الأوام. وكنت لفرط اللهج باقتباسه. والطمع في تقمص لباسه. أباحث كل من جل وقل. واستسقى الوبل والطل. وأتعلل بعسى ولعلى، فلما حللت حلوان وقد بلوت الإخوان، وسبرت الأوزان. وخبرت ماشان وزان. ألفيت بها أبا زيد السَّروجي يتقلب في قوالب الانتسات، ويخبط في أساليب الاكتساب، فيدَّعى تارة أنّه من آل ساسان، ويعتزي مرة إلى إقبال غسان، ويبرر طورا في شعار الشعراء. ويلبسُ حينا كبر الكبراء، بيد أنه مع تلون حاله، وتبيُّن محاله، يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية. وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة، وآداب بارعة، وقدم لأعلام العلوم فارعة، فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته، ولسعة روايته يصبي إلى رؤيته، ولخلافة

عارضته يرغب عن معارضته، ولعذوبة إيراده يسعف بمراده، فتعلّقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به أجلو همومي وأجتلي: زماني طلق الوجه ملتمع الضِّبا

أرى قربه قربي ومغناه غنيةً: ولبثنا ورؤيته ريّا ومحياه لي حيا !

ولبثنا على ذلك برهة، ينشىء لي كل يوم نزهة، ويدرأ عن قلبي شبهة إلى أن جدحت له يد الإملاق كأس الفراق، وأغراه عدم العُراق بتطليق العِراق، ولفظته معاوز الإرفاق، إلى مفاوز الآفاق، ونظمه في سلك الرفاق، خفوق راية الإخفاق، فشحذ للرحلة غرار عزمته وضعن يقتاد القلب بأزمته.

فما راقني من لاقنَي بَعْد بُعْده: ولا شَاقني مَن سَاقني لِوصالِه

ولَا لاَح لي مُذْ ندَّ لفضله: ولا ذُو خلالٍ حاز مثل خِلالِهِ

واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا. ولا أجد عنه مبينا، فلما أُبت من غربتي إلى منبت شُعبتي، حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين، وملتقى القاطنين منهم والمتغربين. فدخل ذو لحية كثةٍ وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس، ثم أخذ يبدي ما في وطابه. ويعجب الحاضرين بفصل خطابه، فقال لمن يليه: ما الكتاب الذي تنظر فيه؟ فقال: ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة، فقال: هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته؟ فقال: نعم قوله:

كأنَّما تبسم عن لؤلؤ: منضّدٍ أو برد أو أقاحْ!

فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه، فقال يا للعجب ولَصيغة الأدب! لقد استسمنت يا هذا ذا ورم، ونفخت في غير ضرم! أين أنت من البيت النّدر الجامع مشبّهات الثغر؟ وأنشد:

نفسي الفِداءُ لثغرٍ راق مبسِمُهُ: وزانه شنبٌ ناهيك من شَنَبِ

يفترُّ عن لؤلؤٍ رطب وعن برد: وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعن حببِ

فاستجاده من حضر واستحلاه، واستعاده منه واستملاه، وسئل: لمن هذا البيت؟ وهل حي قائله أو ميت؟ فقال: ايم الله للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع! إنه ياقوم لنجيكم مذ اليوم. قال: فكأن الجماعة ارتابت بعزوته، وأبت تصديق دعوته، فتوجس ما هجس في أفكارهم، وفطن لما بطن من استنكارهم، وحاذر أن يفرط إليه ذم، أو يلحقه وصم، فقرأ: إن بعض الظن إثم. قال: يا رواة القريض وأساة القول المريض. إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك. وقد قيل فيما غبر

الزمان: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان. وها أنا عرضت خبيئتي للاختبار. وعرضت حقيبتي على الاعتبار. فابتدر أحد من حضر. وقال: أعرف بيتا لم ينسج على منواله. ولا سمحت قريحة بمثاله. فإن آثرت اختلاب القلوب. فانظم على هذا الأسلوب. وأنشد:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت: وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب:

سألتها حين زارت نَضْوَ برقعها ال: قاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

فَزَحْزَحَتْ شفقا غشى سنا قمر: وساقطت لؤلؤا من خاتم عَطِرِ

فحار الحاضرون لبداهته، واعترفوا بنزاهته...

فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته، أمعنت النظر في توسمه. وسرحت الطرف في ميسمه. فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر ليله الدّجوجي. فهنأت نفسي بمورده وابتدرت استلام يده، وقلت له ما لذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك؟ وأي شيء شيب لحيتك حتى أنكرت حيلتك؟ فأنشأ يقول:

وقع الشوائب شيّب: والدهر بالناس قلّب

إن دان يوما لشخص: ففي غد يتغلّب

فلا تثق في بوميض: من برقة فهو خلّب

وأصبر إذا هو أضرى: بك الخطوب وألّب

فما على التبر عار: في النار حين يقلَّب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه..."[1]

3-إضاءة النص

– المقامة الحلوانية نسبة إلى حلوان، وهي مدينة قريبة من بغداد

–تتكون المقامة الحلوانية من مقدمة تدور حول فكرة واحدة تتضمن فكرة مطاردة الراوي للبطل وموضوع وخاتمة،

[1] الحريري، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، 1978، ص21 وما بعدها

يكاد يكون الخروج وهو مشهد ابتدائي في مقامات الحريري . مثلما نقف على ذلك في النص –قاعدة أساسية تشترك فيها جميع المقامات، ثم يليه التخفي ويشكل بؤرة الحكي في المقامة فالتجلي حيث يتتبع الراوي البطل ويتعرف عليه، فقد ورد في المقامة الحلوانية:" فلما حللت حلوان وقد بلورت الإخوان وسبرت الأوزان...فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة...فلما رأيت تلهث جدوته وتألق جلوته، أمعنت النظر في توسمه، فإذا هو شيخنا السروجي.

–يبدأ أبو القاسم الحريري مقاماته بإسناد الكلام إلى راويتها الحارث بن همام، ولكنه لا يقتصر كبديع الزمان الهمذاني على صيغة حدثنا، بل يميل إلى التنويع والتغيير في بدء كل مقامة، فينتقل بين (حدث) و(روى) و(حكى) و(أخبر) و(قال)، أما بطل مقاماته فهو أو زيد السُّروجي.[2]

–يبتدئ الحريري السرد في مقاماته التي سميت بأسماء المدن بتحديد الفضاء المكاني الذي يؤطر الأحداث، وذلك لأجل سحب المستمع نحو التفاعل مع الأحداث السردية ومشاركة الراوي في وصف ذلك الفضاء الحاضن لها. وفي النموذج المختار (المقامة الحلوانية) يبرز فضاء المجلس أو النادي، وهو الفضاء الذي يجتمع فيه الناس لمشاهدة حادثة أو لسماع خطبة، أو للتزود بالعلم والمعرفة "فلما أبت من غربتي إلى منبت شعبتي، حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين، وملتقى القاطنين منهم والمغتربين".[3]

– تتسم لغة الحريري كما في النموذج المختار بمتانة السبك، وقصر الجمل، فهي لا تتجاوز المفردتين أو الثلاث، وإن زادت فبلغت الخمس أو الست، وهو في إنشائه بادئ التكلف والصنعة واستعمال الغريب، كما يسرف في استعمال المجاز والإكثار من الأشعار.

[2] ينظر: البستاني، أدباء العرب، ج2 ص428 نقلا عن مريم صاعد المقامات، الفن العربي الأصيل، ديوان العرب diwanalara .com 72- فبراير-2009/تاريخ الزيارة:13-6 -2021

[3] الحريري: مقامات الحريري، ص20